آباء علم الدراسات الأوغاريتية

للأستاذ : ج . بوتيرو
تعريب وتلخيص : بشير زهدي

اذا كان التاريخ – بمعناه الواسع – معرفة دقيقة ومفصلة ومؤكدة عن الماضي ويتعلق بوجود الوثائق المكتوبة من قبل الانسان والتي وحدها تستطيع أن تشرح لنا معنى ومصدر واستخدام الآثار المصنوعة من قبل البشر والمكتشفة من قبل علماء الآثار ، فانه ليس غريباً ان نعلن بأن الاكتشاف الرئيي فعلا في رأس الشمرة من قبل السيدين (شيفر) و (شينيه) ومساعديهما ذلك الاكتشاف الذي قلب معلوماتنا ليس فقط عن سورية وفلسطين وانما كل الشرق الأدنى في منتصف الألف الثاني ق.م ذلك الاكتشاف الذي أخرج الى النور رقماً طينية وكتابات بلغة وكتابة خاصتين بأوغاريت ، وبفضل هذه الرقم فان هذه المدينة القديمة المدفونة منذ أكثر من ثلاثين قرناً أخذت تحدثنا ولم تنته من حديثها إلينا .

وعند اكتشاف أوائل هذه الرقم الطينية الاوغاريتية الى جانب الرقم المسمارية القليلة باللغة الاكادية كانت تلك الرقم صامتة ولم يكن هناك من يستطيع أن يقرر بأية لغة كتبت أو يخرق سرّ اسلوبها الكتابي الجديد تماماً بالنسبة للعلماء . وخلال سنة واحدة فقط قام ثلاثة علماء كبار – انتقلوا من عالمنا حالياً – قاموا بكشف سر هذه الكتابة وجعلوا ممكناً قراءة الرسائل التي تتضمنها الرقم . وهؤلاء العلماء الثلاثة هم :

١ – (شارل فيرولو) الذي كان وقتئذ مدير مصلحة الآثار في بيروت . ٢ – (هانس باور) الأستاذ في جامعة (هاله) ٣ – (بول ادوارد دورم) الاستاذ في المدرسة التوراتية والأثرية في القدس . واننا باحتفالنا بالذكرى الخمسين سنة لاكتشاف (اوغاريت) لايمكن عدم تذكر وتقدير هؤلاء الرواد الثلاثة الذين – بدون عبقريتهم – كان موضوع الندوة الحالية صغيراً جداً ، ولكانت (اوغاريت) أيضاً لاتذكر إلا مجموعة آثار هامة كما هو الحال بالنسبة لغيرها .

ان نجاحهم وما يثيره فينا من اعجاب يضاف إلى تقدير آخر هو أن مأثرتهم كانت جماعية . ففي بادىء الأمر عمل كل منهم في زاويته وبمحاولاته الخاصة وأخطائه وطريقته الخاصة . ثم وضعوا دفعة واحدة نتائج ملاحظاتهم واستنتاجاتهم ، وقد تبنى كل منهم

وأسهم في تحسين فرضية وقراءات زميليه مما جعل هذا (الثلاثي الأخوي) يعطينا درساً رائعاً فيما يجب ان يكون العمل التاريخي الحقيقي : انه عمل ضخم بالنسبة لكل منا وقابل للتحقيق فقط مقابل تواضع عميق وارتباط دائم بالآخرين وتعاون مستمر معهم وذلك فوق كل الحدود الفردية والسياسية .

وان أول من انكب على السر الذي عرضته النصوص المكتشفة في اوغاريت ـ والمدونة بالكتابة المسمارية الجديدة تماماً ـ هو الذي أصبح أول أكبر مختص بتفسير ونسخ ونشر معظمها طيلة أكثر من أربعين عاماً ، انه (شارل فيرولو) الذي عرفته جيداً وشرفني بصداقته في ربع القرن الأخير من حياته . ولا احتفظ منه فقط بذكرى أستاذ فاضل ورزين ومتواضع وكريم بعلمه فحسب بل وأيضاً ببصيرته ونفاذه في أصعب وأغمض الكتابات ، وهذا مايبدو انه ساعده على البدء بالدخول في كتلة الكتابة الاوغاريتية .

لقد نسخ اولى النصوص الثمانية والاربعين والأجزاء من الرقم الطينية ليقدمها الى الجمهور فلاحظ عدداً من الملاحظات والاستنتاجات ولم يتنبأ فقط بأن أطول هذه النصوص يجب ان تكون ذات مضمون ديني وقد فهم بشكل خاص بأنه بسبب قلة عدد الحروف المختلفة فانه أمام كتابة تعتمد على أبجدية ويسهل تفسيرها بفصل الكلمات بواسطة علامات شاقولية وتعداد المتعلق باللغة التي دونت بها وقلة سعة هذه الكلمات : فهناك أحياناً حرف واحد ، وغالباً ثلاثة أو أربعة حروف ونادراً ماتكون أكثر من ذلك ، فيجب استبعاد مايكتب من حروف صوتية . فتمكن من الاستنتاج ـ كما فعل (هانس باور) ـ بأن ذلك متعلق بلهجة لغة سامية ولكنها ذات طابع متأثر بقبرص على الشاطىء الفينيقي ، وبوجود في هذه الجزيرة مقطع محلي . وقد فكر بلغة آسية ـ قبرصية هي بدون شك غير اغريقية .

وللنفاذ في هذا الطراز المحكم وجد نقطة الضعف في الكتابات القصيرة الموحدة تقريباً على خمسة فؤوس برونزية على أربعة منها رنفس مجموعة الحروف الستة التي رآها في أعلى ا قيم وتوقع بأنها رسالة ويتقدم العبارة شارة وحيدة ستنتج بأنها حرف جر (ل) الذي تبدأ به عادة كتابة الرسائل الاكادية . وهناك حدس آخر عبقري اذ ان (شارل فيرولو) لاحظ على احدى هذه الفؤوس ـ قبل مايعرف بمجموعة الحروف الستة ـ مجموعة أخرى من أربعة حروف استنتج بأنها اسم شيء ملاحظ يسبق اسم صاحبه ، وأضاف بكثير من حسن البصيرة قائلا : اذا كان ممكناً جمع كل الكلمات التي في مختلف لغات الشرق القديم تفيد معنى فأس وان أحداها مؤلف من أربعة حروف فاننا سنصل بدون شك الى قراءة كتابة رأس الشمرة رغم وجود كتابة بلغتين ، إن تحديد هذه الحروف الأربعة ربما يكفي لقراءة كل النصوص الأخرى.

وان هذا اللفظ الذي استخدمه (هانس باور) مفتاحاً عندما واجه عملية القراءة في بداية عام ١٩٣٠ وكان محقاً في رؤيته بأنه من المحتمل في هذه المنطقة السورية الفلسطينية التفكير

بلغة سامية فبحث في مفردات هذه (الأسرة اللغوية) عن لفظ رباعي يمكن ان ينطبق عليه معنى (فأس) فوجد اللفظ الكنعاني (ج رز ن) . فتأكد نوعياً من فرضيته المتعلقة بحروف اللغة التي تتضمن أبجدية مسمارية جديدة ، واستطاع المغامرة في ذلك في تحليله آخذاً بعين الاعتبار عدة خصائص للمفردات السامية اذ ان عدداً من الحروف تستخدم فيها في بداية الكلمات (مثل : ل ، ب ، ك) ويستخدم غيرها في بداية الكلمات ونهايتها (مثل : م ، ن ، ت) يضاف الى ذلك (الحروف الأصلية للكلمات) وهكذا استطاع بالمحاولات والمقارنات ان يفترض قيمة عدد من الحروف الأصلية والنهائية الكلمات ويبحث عن كلمات أخرى ويحدد قراءة الحروف الجديدة :

وبعدما اطلع (ادوار دورم) على هذه الاكتشافات العلمية دخل في هذا المضمار واستأنفها ليدفعها الى الأمام ويصححها كما هو الحال في اسم (الفأس) الذي يجب ان يقرأ (ح ر ص ن) وليس (ج ر ز ن) .

وهكذا على الطريق الذي شقه (شارل فيرولو) وفي بضعة أشهر قرئت أبجدية رأس الشمرة المسمارية تماماً من قبل (شارل فيرولو) و (هانس باور) و (ادوار دورم) .

وليس في استطاعتنا هنا ان نتبعهم خطوة فخطوة . وان كل المختصين بالدراسات الاوغارتية يعرفون هذا التدرج الذكي لعلماء اللغة الثلاثة . وان من يرغب في تعقب المراحل يمكنه بسهولة ان يجدها في المقالات التي ذكرتها يضاف اليها دراسة (دوبلهوفر) عن (قراءة الكتابات) .

ان المهم في نظري ونظرنا جميعاً هو انه بمناسبة هذه الندوة الأولى لمرور خمسين عاماً على اكتشاف اوغاريت ، هذه الندوة المعدة بنجاح من قبل أصدقائنا السوريين – علينا ان نذكر ونخلد أسماء (شارل فيرولو) و (هانس باور) و (بول ادوار دورم) الذين هم (آباء علم الدراسات الأوغاريتية) الحقيقيون .